من شؤون المسلمين والعالم

التخليّ الدوليّ والمحليّ عن أفغانستان

قال أحد المنصفين من غير المسلمين : عجيب أمر الغرب ، يتحدّث مؤتمر قمة الطائف عــن الجهــاد لتحريــر أفغانستان من السوفييت فلا يحتجّ ولا يتساءل بل يؤيّد ، ويتحدّث نفس المؤتمر عن الجهاد لتحرير (القدس) –ويبيّن ما يعنيه– فيحتجّ الغرب ويتساءل عن كلمة (الجهاد) وما تعنيه ، وعن حقيقة القرار وما يرمي إليه

ولا عجب في ذلك ، فالغرب يريد أن تُوظّف كلمة (الجهاد) كما وظّفت كلمة (الإسلام) في كلّ ما يمكــن أن يصدّ عن بلادنا النفوذَ الشيوعي المنافسَ لنفوذه هو .. وما يثبّت مصالحه في بلادنا وينمّيها

ولكن العجيب .. أن تسير بلادنا الإسلاميّة نفس المسيرة وتعزف على نفس الوتيرة

ماذا فعلت البلدان الإسلاميّة حتى الآن من أجل أفغانستان ؟

ماذا فعلت عندما كانت أفغانستان بعيدةً بعض البعد عن منال النفوذ السوفييتي ، يحتاج أهلها إلى المساعدة المالية والاقتصادية ولا يجدونها ، ويحتاجون إلى الدعم السياسي والعسكري فلا ينالونه ، ويحتاجون إلى التعاون في مختلــف المجالات ولا يحصلون عليه ، فالبلدان الإسلاميّة تتعاون مع الغرب أو مع الشرق من دون التعاون الحقيقي المثمر فيمــا بينها على مواجهة أطماع الشرق والغرب معا ؟ ..

ماذا فعلت البلدان الإسلاميّة عندما انتقل النفوذ الشيوعي من درجة الخبراء والعون المادّي المشروط المــدروس إلى درجة تدبير الانقلابات ثمّ إرسال القوات المسلّحة تفتك بالمدنيين في القرى والمدن وتفتــك بالمجاهــدين في الأوديــة والجبال ؟ .. يحتاجون إلى السلاح لا البيانات ، ويعطون البيانات من دون السلاح .. إلاّ بعض جهات تمــدّ بعــض الفرق دون الأخرى بقليل من السلاح ليغلب الاتجاه الغربي على حركة الجهــاد في أفغانــستان مــن دون الاتجــاه الإسلامي .. ولا عجب أن تحارب الإسلام وهو في طور الثورة على احتلال خارجي ، فهي تحــارب الإســلام في أرضها (المستقلة) شكلاً التابعة للغرب حقيقة

ماذا فعلت البلدان الإسلاميّة خلال السنوات القليلة الماضية ، إلاّ أنّها تابعت سلوك الطريق الذي سلكه حكــام أفغانستان المتعاقبون ، جلباً للخبراء الأجانب وتثبيتاً للمصالح الاقتصاديّة الأجنبية داخــل الأراضــي الإســلاميّة ..

وتفضيلاً للتعاون والتحالف مع الشرق أو الغرب على أي صورة حقيقية للتعاون بين البلدان الإسلاميّة نفسها تجــاه المعسكرين الكبيرين ؟ ..

ولكن .. هل صحّ قول المنصف غير المسلم بأن البلدان الإسلاميّة دعت في مؤتمر قمة الطائف إلى (جهاد) من أي مستوى ونوع في قضية أفغانستان ؟ ..

في مؤتمر قمة الطائف حكومات معروفة أعلنت معارضتها لمجرّد إدانة الاتحاد السوفييتي المحتلّ باسمــه ، فطالبــت بشطب اسمه والاكتفاء بالدعوة إلى (انسحاب القوات الأجنبية) حتى لا ينــزعج حليفها الروسيّ ، ووافقت الــدول الأخرى على ذلك مقابل أمور أخرى حصلت عليها في مؤتمر (الحلول الوسطية) ..

في مؤتمر قمة الطائف حكومات معروفة عارضت مجرّد ذكر لفظة (الأمة الإسلاميّة) في البيانات لأنّها لا تعتــرف للمسلمين بوحدة ، ولا للإسلام برابطة .. وصداقتها مع الروس أغلى بكثير من (أخوّة) –لا تملك محوها– بين شعب أفغانستان المسلم ، وشعب سورية أو العراق أو مصر أو سواها

في مؤتمر قمّة الطائف كان الجدال حول (شكل المفاوضات) وأسلوب (الحلّ السلمي) لقضية أفغانستان ، شأنها في ذلك شأن قضية فلسطين ، فلا داعي للغرب ولا داعي للشرق أن يقلق ممّا يُعلنَ في البيانات من نداءاتٍ .. الأصــلُ فيها توجيهها إلى أسماع المسلمين الطيّبين داخل البلدان الإسلاميّة ، وليس إلى أسماع الشرق ليقلق ، ولا أسماع الغرب ليتساءل ، ولا أسماع الصهيونية لترتدع ..

لقد شهدت قضية أفغانستان فور اقتحام القوات الروسية لأرضها الإسلاميّة حملة غربية إعلامية وسياسية واســعة النطاق .. أسفرت عن تثبيت قواعد عسكرية جديدة للغرب ، وارتباطات سياسية واقتــصادية جديــدة بــالغرب ، وولاءات أشدّ للغرب .. بدعوى صدّ النفوذ الشيوعي

وحققت هذه الحملة أغراضها الحقيقية ، وبدأ الغرب ينــزع قناعها تدريجياً ، فأصبح هدفه الرسمــي المعلــن ألاّ يتكرّر عمل السوفييت بأفغانستان في بولندا مثلا .. فبولندا على أبواب أوروبا الغربية ، أمّا أفغانــستان فقــد كــان التخلّي الدولي عنها قائماً منذ زمن ، لحساب السوفييت نفوذاً ثمّ احتلالا

ورافقت تلك الحملةَ الغربيةَ المدروسة .. حملةٌ على مستوى البلدان الإسلاميّة ، تدعو إلى مواجهة الــسوفييت ، وصدّ الأطماع الشيوعية .. والاستعانة بالغرب على مختلف المستويات ، وكان لا بدّ في تلك المرحلة من بيانات أقوى لهجة وأصرح إدانة ، ليصدّق قارئو البيانات من المسلمين الطيّبين ما فيها ، ويدخل في روعهم ألاّ بدّ من الاســتعانة بالغرب .. وفي تلك المرحلة قاطعت البلدان ذات الاتجاه الشرقيّ الصريح المؤتمرات ، وثبّتت بدورها مزيداً من النفوذ السوفييتي في الأراضي التي تتحكّم فيها .. حتى إذا حققت تلك الحملة أغراضها ، وقامت القواعد الغربية الجديدة هنا

وهناك .. لم تعد توجد حاجة إلى بيانات قويّة اللهجة صريحة الإدانة ، وأصبح في إمكان أصحاب السلطة من المحورين الشرقي والغربي الجلوس مجدّداً على مائدة واحدة ، والبحث عن (الحلول السياسية الوسطية) فيما بينهم ، على ضـــوء ما حققه كلّ جانب وما ثبّته من أوضاع جديدة .. وإن كانت الحلول الوسطية سبباً في ظهور التخلّي المحلّي القـــائم عن أفغانستان أوضح من ذي قبل

وتسقط الأقنعة محلياً .. تدريجياً أيضاً ، كيلا تكون الصدمة شديدة على قارئي البيانات من المـــسلمين الطيّـــبين المنكوبين

إنّ التخلي الدولي عن أفغانستان قائم منذ زمن وفق الحسابات السياسية والعسكرية الغربية الشاملة لضمان مصالح النفوذ الغربيّ في أرضنا ككلّ ..

وإنّ التخلّي المحليّ على أيدي أنظمة الحكم في بلادنا الإسلاميّة عن أفغانستان قائم أيضاً منـــذ زمـــن .. وفـــق حسابات تلك الأنظمة في تشكيل المحاور ، والسعي للحفاظ على وجودها واستمرارها

أمّا الانطلاق من أنّ شعب أفغانستان المسلم يواجه الموت في كلّ يوم ، ويواجه القهر والتعذيب من كلّ لـــون ، فهذا ما لا يوضع في حسابات الحلول الوسطية .. إنّما ينطلق منه المجاهدون الحقيقيون ، وهؤلاء يعلمون أنّهم إنّمـــا يحققون النصر باعتمادهم على الله عزَّ وجلَّ ، ويسلكون سبيله الحقيقي بتجاوز تلك الأوضـــاع والأنظمـــة تجـــاوزاً كاملاً ، والارتباط من وراء الحدود والقيود بالشعوب المسلمة التي تدين الوجود السوفييتي والأمريكي معاً ، وبـــسائر أشكاله ودرجاته ، وترفض التبعية الشرقية والغربية جميعها ، وبسائر مجالاتها وأدواتها ، وتجد نفـــسها مـــع شـــعب أفغانستان كما تجد نفسها مع شعب فلسطين في خندق واحد ، خندق (أمّة إسلامية واحدة) يخاطبها ربّ العالمين من عليائه فيقول : ﴿ **إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ** ﴾ [الأنبياء : ٩٢] ولا يغيّر كلامَ الله موقف هـــذا الحاكم المنحرف أو ذاك ، إنّما يزول الحاكم ونظامه ، ويبقى الشعب على دينه ووحدة أمّته ..

وسيصل المجاهدون الحقيقيون في أفغانستان وفي أية أرض وجدوا فيها إلى النصر الحقيقي بعون الله ، وباستمرارهم على الجهاد المخلص الواعي البصير في سبيل الله ، وبتغييرهم هذا الواقع الفاسد من جذوره لإقامة حكم الله ، والحياة على دينه .. ﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا** ... ﴾ [العنكبوت : ٦٩] ، ﴿ **وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَـــقَّ جِهَـــادِهِ** ...﴾ [الحج : ٧٨] ، « **مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلّ** » رواه الشيخان